

الرقم ١٨١ الذي اقر مشروع تقسيم فلسطين، «حيث تمكّن الاسرائيليون من انشاء 'دولتهم'»، في حين تطرح الوقائع الراهنة «مهمة تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير المصير، واعادة الاراضي المغتصبة الى العرب، وضمان الحق في الوجود الآمن لاسرائيل ضمن الحدود المعترف بها»<sup>(٣٩)</sup>.

ثانياً: ان الحل في الشرق الاوسط يجب أن يتمّ على اساس مبدأ «توازن المصالح بين اطراف الصراع»، حيث ظهر هذا التعبير بصورة جلية وواضحة، في الادب السياسي السوفياتي، في اعقاب المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي (نيسان - ابريل ١٩٨٥). ففي ذلك المؤتمر، شطب الحزب من البرنامج السياسي عبارة «في حال تجرّأ المعتدون الامبرياليون، مرة اخرى، على اشعال حرب عالمية جديدة، فان الشعوب لن يعود باستطاعتها تحمّل النظام الذي ورّطها في حروب مهلكة؛ انها ستكنس الامبريالية وتدفنها». وقد مثل هذا الحدث نقطة تحول حاسمة لمفهوم «الحرب» التي دأبت ادبيات الاحزاب والقوى الماركسية كافة على اعتبارها امراً محتوماً في نطاق صراع «الضواري الاستعمارية». ذلك ان حقائق العصر الراهن، الذي برزت فيه اسلحة الابداء الجماعية، طرحت معها ديكالتيك جديد يقوم على الاولوية الحاسمة للمصالح الانسانية العامة التي لا ينبغي للمصالح الطبقية أن تأتي على حسابها، او على نحو يهددها. وقد اقتضى ذلك - كما قال غورباتشيف - عدم ترك تعريف التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة كما وردت في البرنامج القديم للحزب الشيوعي السوفياتي بوصفه «شكلاً خصوصياً من اشكال الصراع الطبقي»<sup>(٤٠)</sup>. على اساس تلك المقدمات اعتبر «مبدأ توازن المصالح المبدأ الوحيد المقبول في العلاقات بين الدول والشعوب والقوميات... ونقيضاً وقطباً معاكساً لتوازن القوة من طريق المفاوضات»<sup>(٤١)</sup>.

ومن وجهة النظر السوفياتية، فان لهذا المبدأ اهمية استثنائية في منطقة الشرق الاوسط، المهتدة بسباق التسلّح، الذي يمكن ان يتحوّل، عاجلاً ام آجلاً، الى مواجهة نووية، حيث «احتلت المنطقة المرتبة الثالثة في العالم، بعد حلف شمال الاطلسي ومنظمة معاهدة وارسو، من حيث حجم النفقات العسكرية المباشرة»<sup>(٤٢)</sup> وبات من الضروري ان تعترف كل الاطراف بمبدأ «توازن المصالح»، الذي من شأنه ان يفتح الطريق للتسوية في الشرق الاوسط.

لكن تلك الدعوة قد تبدو نوعاً من الدعوات الاخلاقية الرومانطيقية في ظل ميزان القوى القائم في المنطقة، الذي تستند اليه اسرائيل في تعنّتها. ولذلك، يعطي السوفيات اهمية عالية للانتفاضة الفلسطينية التي أكدت - حسب تعبير شيفاردنادزه - ان من «الارجح ان تزول الاهرام قبل ان يزول تطلع الفلسطينيين الى ديارهم، وانها اكتسبت نطاقاً واسعاً وقوة بالغة». وهذه القوة رفعت الى مكان الصدارة في العالم تطلعات الشعب الفلسطيني، وخلقت نوعاً من التعديل النسبي في ميزان القوى مع اسرائيل. وميزان القوى هذا يتعرّز على نحو اعظم، اذا ما تمّ بناء موقف عربي موحد، خاصة بالنسبة الى مصر وسوريا والاردن ولبنان، مع م.ت.ف. وفي هذا الاطار، فان الاتحاد السوفياتي ينوي «ان يشجع، ويؤيد، بكافة الوسائل، اية خطوة ايجابية تهدف الى ازالة الاختلافات العربية، والى توحيد الدول العربية، واجراء حوار بناء بينها حول التسوية في الشرق الاوسط. ويؤيد، خاصة، فكرة عقد لقاء بين كبار مندوبي سوريا ومصر والاردن وم.ت.ف. ولبنان، من اجل الاسراع بعقد المؤتمر الدولي». ويعتقد السوفيات بأن استمرار تعنّت اسرائيل «لا بدّ من ان يؤدي بها الى العزلة في الاسرة الدولية، والى فقدان التأييد حتى من قبل أوفى اصدقائها؛ وستبرز، بنفس الحتمية، مسألة استخدام العقوبات ضد اسرائيل، باعتبارها تنتهك حقوق السكان المدنيين بشكل جماعي»<sup>(٤٣)</sup>.